

دور الدين في سعادة الإنسان

المكان: طهران

الزمان: 1389/1/17 هـش - 1431/4/21 هـق - 2010/4/6 م

الحضور: جمعا مع المسؤولين والشخصيات العلمية والسياسية

4321

إن شاء الله يكون حلول العام الجديد مباركاً عليكم جميعاً أيها الإخوة والأخوات الأعزاء. في النهاية أن مرور الفصول والسنين يجب أن يعلمنا وطوال العمر التجارب والعبر. قال: «يا محوّل الحول» والحول هو السنة، وتحويل السنة لا يكون فقط في تحويل فصل الشتاء إلى فصل الربيع؛ فجميع الفصول في الواقع تُحوّل. مرّة يكون فصل الربيع ومرّة فصل الصيف ثم بعدها يبدأ الخريف وتساقط أوراق الأشجار. الشتاء والبرد الذي ظاهره صعبٌ وقاس، لكن باطنه في الواقع أساس حياة الربيع. تحويل الحول يعني هذا؛ تتبدّل الفصول فيما بينها.

وتتوالى أحوال الطبيعة المتعدّدة وتتغيّر؛ فهذه كلّها آياتٌ إلهية. ولقد اعتدنا أن لا نفهم أهميّتها؛ بينما لو لم يعتد الإنسان على هذا التغير والتحوّل الموجود في الطبيعة وشاهده لأول مرّة لرأى كم هي مدهشة هذه الحوادث. فنموّ النباتات وتجدد الطبيعة وإثمار الأشجار، كلّ هذه علائم القدرة الإلهية

التي نمرّ عليها بهذه الأعين التي اعتادت عليها وببساطة. وفي أنفسنا أيضاً الأمر كذلك، فوجودنا يشبه هذا الأمر.

غالباً ما لا يشعر الإنسان بالتغيرات. نحن لا نفهم التغيرات الحادثة. والكثير من هذا الإغفال ينتهي إلى خسائر كبرى. فافترضوا أن ماشياً يسير على طريق ويغفل وينحرف عن طريقه بزاوية خمس أو عشر درجات. هذا الإنسان لا يلتفت أبداً فخمس درجات ليست بشيء يجلب انتباه الإنسان. ثم فيما بعد كلما سار مع هذا الانحراف البسيط - هذا لو لم تصل هذه الخمس درجات إلى عشر درجات وخمسين درجة وبقيت خمس درجات - عن الخط الصحيح الذي ينبغي أن يسير عليه فإن الانحراف يزداد شيئاً فشيئاً. ثم يأتي وقت يتنبه هذا الإنسان ويرى أنه يا للعجب كم صار البعد كبيراً. وعندما تذكر التقوى فلأجل هذا الأمر. فالتقوى تعني الالتفات والتوجه إلى الذات لحظة بلحظة ومراقبة النفس والالتفات إلى ما نقوم به. فهذه الصلاة التي كتبت علينا خمس مرّات في اليوم هي في الواقع من أعظم نعم الله. فلو لم تكن هذه الصلاة، لغرقنا في غفلة عميقة. هذه الصلاة هي التي توجّهنا إلى أنفسنا. فهذا ما يقتضي أن نؤدّي الصلاة بشكل صحيح وبتوجه. فلو أدّينا الصلاة بتوجه، فإن هذا يعين الإنسان على الالتفات إلى نفسه.

فانظروا في تحوّل السنة من 88 إلى 89 حيث نحدّد ساعة خاصّة لها - التي هي ساعة مثل بقية ساعات العمر؛ فباللحاظ الطبيعي، وبلحاظ التقديرات المختلفة فإن آخر ساعة من عام 88 لا تختلف أبداً مع أول ساعة من عام 89 - لو غفلنا عنها فلن نتوجه إلى تحوّل الطبيعة وتبدّلها؛ فلو التفتنا إلى هذا

التغيير والتبدل، فإننا سنفهم ونشعر. هذا الإحساس ينبغي أن يلازم الإنسان في جميع تحولات الحياة. ويمكن أن نضيف هذا إلى مضامين النوروز.

إن عيد النوروز الذي يظهر أنه عيدٌ غير ديني، وأنه عيدٌ وطني، ليس له بعدٌ ديني أو ذكرى دينية؛ وإن كان هناك في بعض الروايات أن النوروز من أيّامنا - وأنا لا أعلم مدى اعتبار هذه الروايات وقوة سندها - ولكن المضمون الديني موجودٌ في جميع حوادث حياة الإنسان؛ ومنها في هذا العيد. ولحسن الحظ فإن شعبنا ملتفتٌ - ويتلو الأدعية والأذكار ويتواجد في المشاهد المشرفة - حتى أولئك الذين يسافرون إلى المدن والمحافظات التي ليس فيها بحسب الظاهر مشاهدٌ مشرفةٌ معروفة، لو وُجد أحد أولاد أو أحفاد الأئمة، فإنهم يقضون ساعة تحويل السنة حتماً عند أولاد الأئمة هؤلاء؛ فلو فرضنا أنهم مثلاً يسافرون إلى شیراز يوم العيد، فإنهم يذهبون في ساعة التحويل إلى شاجرآغ*؛ وهذه العادة المتبعة بين الناس في غاية الحسن. وكلّما أمكن إضافة المضامين الدينية إلى كافّة حوادث الحياة وظواهرها، فإنّ هذا يعود علينا بالفائدة.

إن الدين، والإيمان الديني والتوجّه الديني هو ضامن سعادة الإنسان. فالإنسانية بدون الدين تصل إلى وضعية سيئة. وينطبق هذا الأمر على جميع العصور ومنها هذا العصر. ففي يومنا هذا أولئك الذين أرادوا تدبير الدنيا بدون الدين، ابتلوا بمشاكل صعبةٍ وعجيبة. فهذه المشاكل ليست كالمشاكل الجسمانية واليومية التي تظهر للإنسان مباشرة؛ كلا فإنّها عندما تبرز لا يكون هناك مجالٌ للعلاج. فإذا أُسس بناء إطلاق العنان للشهوات الجنسية،

وأصبحت السياسات هكذا وكذلك الثقافة، فإن الأمر يصل إلى حيث أنكم تشاهدون اليوم وزيراً يجري مراسم الزواج الجنسي* ولا يخجل من العالم! وسوف ينتهي هذا فيما بعد إلى أن يعاشروا جنسياً محارمهم! اليوم هذا عيبٌ ولا يقبلونه؛ لكنهم بلا شك سوف يصلون إليه؛ فهذا المسار يتبعه هذا الوضع. واليوم فإن هذه الفضيحة موجودة في الغرب. وهذه نتيجة الدنيا بلا دين. إن نتيجة الدنيا بلا دين هو تلاشي الأسرة؛ وتغرب الناس عن بعضهم. وهذه المشاكل الهائلة الموجودة في حياة الناس.

يجب أن تعود الإنسانية إلى الدين. وسوف ترجع وقد بدأت بالرجوع؛ شاؤوا أم أبو سيحصل هذا الأمر. وفي هذه الحركة العظيمة سيكون الإسلام نقطة ساطعة؛ هو الدرّ الأساسي في عقد ومنظومة التوجهات المعنوية إلى الأديان. الإسلام يستطيع. يريدون أن يقفوا بوجه الإسلام، ولن يقدرُوا.

إن العداء للجمهورية الإسلامية يرتبط جزءاً أساسياً منه بهذا الأمر؛ لأنهم يعلمون أن هذه حركة دينية، وهذا الإيمان الديني الذي حرك الجماهير وأبقاها في الساحات وهداها في المشاكل والمصاعب والمنعطفات الخطرة، هم يرون هذا ويفهمونه. لا شك بأن الكثير من هؤلاء السياسيين ليسوا واضعي سياسات في الواقع بل هم منفذو سياسات، لا يرون إلا الظواهر؛ أما أولئك الذين يضعون السياسات الدولية حيث يدار العالم المادي في الواقع بحسب توجهاتهم، هؤلاء لا بدّ أنهم يفهمون أن القضية هي هذه؛ ولا بدّ لهم من ذلك.

لا شكّ أنهم يسعون لإلهاء العالم الإسلامي. فاليوم نجد قضايا فلسطين تحدث في ظلّ إلهاء العالم الإسلامي بالمسائل الفرعية. ففلسطين اليوم في الواقع في فاجعة، وكذلك غزة، والضفة الغربية. لا ينبغي أن نستقلّ وقائع الحرم الإبراهيمي فهي في غاية الأهمية. فلأجل إقامة الصلاة يطردون المسلمين من وطنهم ويوتهم ولا يسمحون لهم بالمرور! وإزالة الطابع الإسلامي عن الآثار الإسلامية هو من الأعمال الخطرة جداً التي تحدث على مرأى المسلمين في العالم. فالكلّ مشغولون لاهون بأمور فرعية وجزئية، لا يفهمون ماذا يحدث في العالم الإسلامي. هذه هي المؤامرة التي تطبق على هذا العالم.

واليوم تتحمّل منظّمة المؤتمر الإسلامي التي كان دورها وأساس فلسفة وجودها الدفاع عن فلسطين والقضية الفلسطينية، مسؤولية الوقوف وتعبئة العالم الإسلامي مقابل هذه الحركة الصهيونية المؤذية ومعها حمايتها - حيث أن أغلب الدول الغربية المستكبرة وبالرغم من الخلافات الموجودة بينهم داعمون وشركاء في هذا الأمر.

ينبغي أن ينهض العالم الإسلامي ويمكنه ذلك. فالإمكانات الموجودة في العالم الإسلامي، لأجل النهوض بوجه خبث الصهاينة وأطماعهم، كبيرة جداً. والكلّ يتوجّه فوراً إلى النفط؛ فالقضية ليست قضية النفط. فهنا مركز العالم وإن أكبر أسواق المنتجات الغربية موجودة في هذه المنطقة، وإن سمعهم مرتبطة بهذه المنطقة، وإن أهم الممرّات العالمية موجودة ضمن هذه المجموعة من الدول الإسلامية؛ ومثل هذه الأمور تمثّل شرايين حياة العالم وهي بأيدي المسلمين؛ وعلى المسلمين أن يستغلّوها ويمكنهم ذلك.

ولو تجاوزنا كل هذه الأمور، فإنَّ المنطق السياسي والتصريح السياسي في عالم اليوم فاعل. يمكنهم أن يقرروا بدون أن يستعملوا هذه الوسائل. فنفس إرادة الدول والشعوب لها وزنٌ عظيم في حوادث العالم. وللأسف فلا يُستفاد من هذا الأمر وإنما يغفل عنه.

وعلى كل حال فلنأخذ نحن الدرس. ولنقسم قضايانا إلى قضايا أساسية وغير أساسية؛ ولنهتم بالأساسية. فالقضايا الأساسية في بلدنا كثيرة؛ قسمٌ منها يتعلق بالمسؤولين، وقسمٌ آخر يرتبط ببناء الثقافة، وقسمٌ يتعلق بالمؤسسات العظمى والواسعة التي لحسن الحظ توجد في البلد؛ وكلٌ من هؤلاء له دوره وعمله. فلنفكر بهداية هذا الشعب وهذا النظام وبتقدمه ولنفعل ذلك.

بمشيئة الله، يوقظنا الله من سبات الغفلة كي نتمكن من تشخيص تكاليفنا بدقة ونتعرف عليها ونعمل على أساسها، إن شاء الله. وإن شاء الله تكون هذه السنة مباركةً على الجميع ويشملكم دعاء حضرة بقية الله أرواحنا فداه.